شؤون فلسطينية

خريف 2021 العدد 285

الاحتلال و الفضاء الرقمي

شؤون فلسطينية

فَصليّة فِكريّة لمعَالجة أحدَاث القضيّة الفِلسطينية وشؤونها المُختَلفة
تصدُر عن مَركز الأبحاث في منظمة التحُرير الفلسطينيَّة

العدد 285 ، خريف 2021

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد اشتية

المدير العام
د. منتصر جرار

أعضاء مجلس الإدارة
د. إبراهيم أبراش
د. أحمد عزم
د. أيمن يوسف
د. حسام زملط
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم
أ. صقر أبو فخر

رئيس التحرير
د. أحمد عز م

مدير التحرير
د. إبراهيم ربايعة

هيئة التحرير
د. أيمن يوسف
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم

مركز الأبحاث

مركز الأبحاث: مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.
يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية
القدس- فلسطين
تلفاكس :9702966228 +
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

Research Center P.L.O
Al Quds - Palestine
Telfax: +9702966228
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

مجلة شؤون فلسطينية
e-mail: Shuun@prc.ps

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة
2022

المحتويات

الصفحة

الافتتاحيـــة 6

ملف العدد

فلسـطين والإعـلام الجديدمن "انتشـار القوة" إلـى "البيانـات الكبرى" و"اللوغريتمـات"
أحمد جميل عزم 9

الدبلوماسـية "السـيبرانية" الإلكترونية وأهميتها لإسرائيل
تينا الجلاد 24

الدعايـة الرقميـة الإسـرائيلية للفلسـطينيين والعـرب تحليـل محتـوى"
زياد حسيبا 44

"مركـز مراقبـة الإعـلام الفلسـطيني" واسـتهداف شـرعية النضال
عبير النّجار 58

وسـائل التواصل الاجتماعي: سـاحة اشتباك جديدة
سعيد الآغا و يحيى قاعود 66

أنثولوجيا

التكنولوجيـا.. التفـوق العلمـي المدنـي والعسـكري.. وعلاقـات إسـرائيل الدوليـة
رشا الحسن 88

المحتويات

متابعات

مؤتمر حركة فتح.. الفكر السياسي والاجتماعي
بكر أبو بكر 99

الجهود الجزائرية- الجنوب أفريقية في عرقلة سعي إسرائيل للحصول على عضوية مراقب في الاتحاد الأفريقي "الفكر السياسي والاجتماعي"
آمال وشنان 106

دراسات تاريخية

الحملة الفرنسية على فلسطين عام 1213هـ 1799م
زهير غنايم و محمود سعيد 122

ندوة العدد

الاحتلال وتحديات التحول الرقمي
ريهام المقادمة 151

صورة قلمية

شفيق الغبرا, الاكاديمي المشتبك
مهند ياسين 159

مراجعات

كتاب تحرير الشرق
أحمد زكارنة 171

كتاب العسكرية الفلسطينية، ذروة الكفاح المسلح والاقتلاع (1973 – 2000)
حذيفة حامد 179

كتاب أكبر سجن على الأرض سردية جديدة لتاريخ الأراضي المحتلة
محمود الفطافطة 187

مراجعات قصيرة

رنيم العزة 197

وثائق

بيان صادر عن المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية الدورة العادية الحادية والثلاثون دورة الشهيد القائد الوطني جمال محيسن 207

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها، ولا تعكس بالضرورة آراء المركز

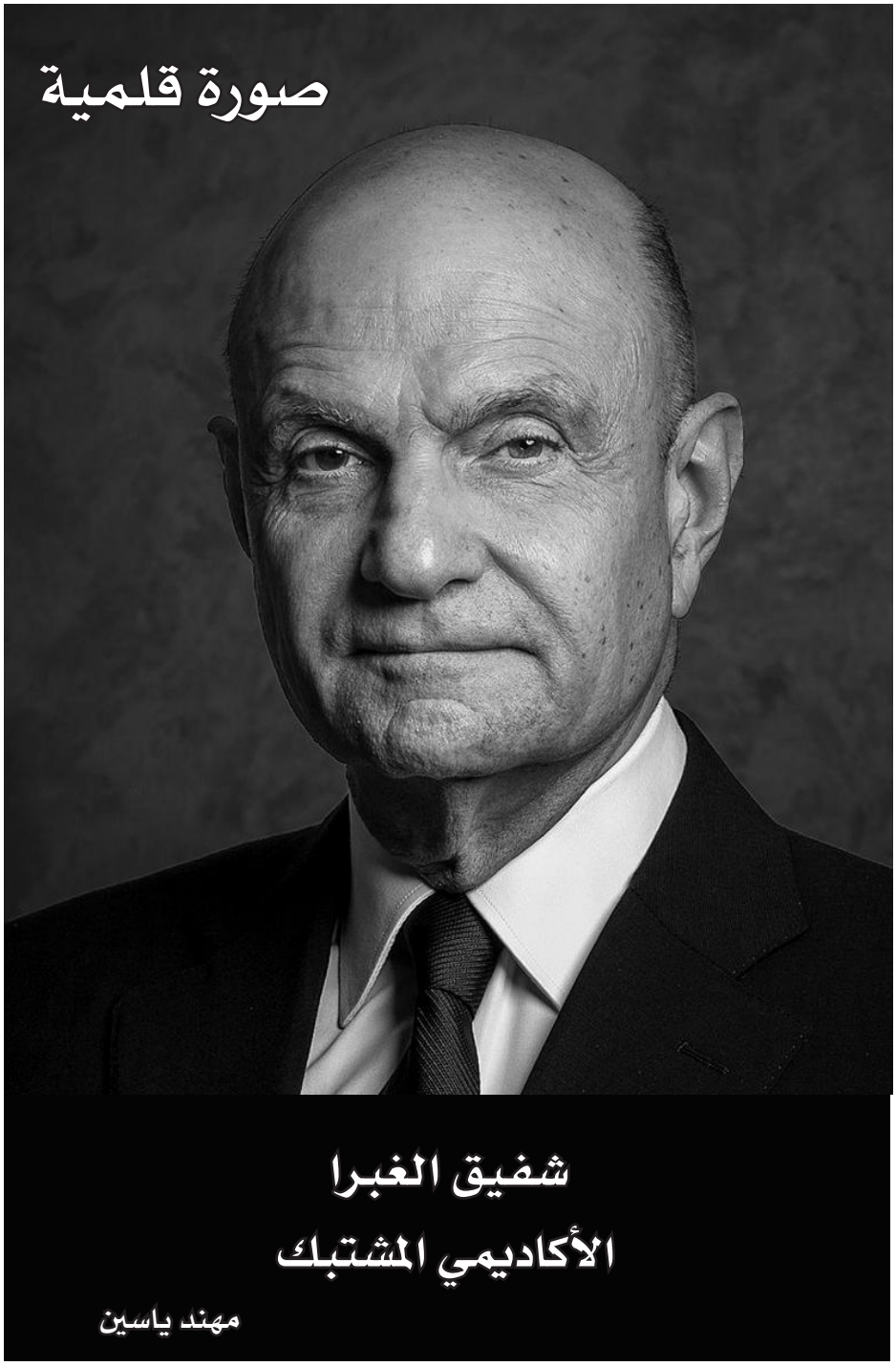

* صحفي في منصة الاستقلال الثقافية

رغم إعلان وفاته في الرابع من أيلول/ سبتمبر 2021، إلا أن أعمال الباحث الفلسطيني الكويتي متعدد الثقافات شفيق الغبرا لم تنقطع برحيله الجسدي، إذ يعمل كل من إبراهيم فريحات ومعين الطاهر على متابعة إصدار كتاب له حول النكبة، فيما تقوم ابنته حنين الغبرا بمتابعة ترجمة كتابه «حياة غير آمنة» للإنجليزية، تمهيداً لنشره في أقرب وقت. كان هذا شيئاً مما كشفته الباحثة الغبرا خلال حديثها عن والدها في ندوة إلكترونية تأبينية له في التاسع عشر من أيلول/ سبتمبر 2021*

الطفل الفلسطيني العروبي

ولد شفيق الغبرا في كنف عائلة فلسطينية في مدينة الكويت في العام 1953، وتحديداً في آخر يوم من شهر آب/ أغسطس. والده ناظم الغبرا، الطبيب الشاب المولود في حيفا والمتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1946، قبل العمل في الكويت في العام 1952. عمل والده في دول عربية عدة بعد النكبة التي وقعت عام 1948، بدأها طبيباً متطوعاً في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان، ثم في العراق والمملكة العربية السعودية.

وفي كتابه السيريّ يقول الغبرا عن والده: لقد نشأ والدي فلسطينياً عربياً، لكنه واجه الصراع مع الصهيونية والهجرات اليهودية الكثيفة تحت الانتداب البريطاني الذي احتل فلسطين مع سقوط الدولة العثمانية في العام 1918، مضيفاً: أثناء الحرب في حيفا واحتلال القوات اليهودية أجزاء من فلسطين في العام 1948، أنقذ والدي أرواحاً عربية وغير عربية، يهودية وبريطانية عديدة.

وتابع: سألته في أحد أيام طفولتي كيف فعلت ذلك، فقال: «يمارس الطبيب دوره الإنساني تحت كل الظروف. في حيفا عشنا في مدينة مختلطة بين يهود وعرب، مسيحيين ومسلمين. لن أسأل هل الجريح الذي أمامي عربي أم يهودي أم مهاجر يهودي أتى إلى فلسطين كما حصل مع مئات الألوف من اليهود؟ في النهاية الطب مهنة إنسانية».

* نظمت الندوة المجموعة الأكاديمية لفلسطين وأدارها ابراهيم فريحات فيما قدم كل من حنين الغبرا وسعود المولى وأحمد عزم وابتهال الخطيب مداخلات حول تجاربهم مع الراحل الغبرا.

أما والدته فهي نهلة صدقي عبد السلام الطبري، من مدينة طبريا ومن عائلة فلسطينية لها جذور تاريخية في تلك المدينة. فوالدها كان أحد كبار وجهاء المدينة وقائداً سياسياً فلسطينياً في القيادة المقاومة التي عرفت باسم «اللجنة العربية العليا» برئاسة الحاج أمين الحسيني.

ترعرع الغبرا على حكايات والده ووالدته المأساوية حول النكبة وتحديداً في حيفا وطبريا، حيث القصف وجرائم جنود العصابات الصهيونية والتهجير وسقوط شهداء من أسرتيهما، وغير ذلك الكثير.

ويعترف الغبرا في كتابه آنف الذكر: لقد ملأت السياسة حيزاً كبيراً من طفولتي (...) في الخامسة أو السادسة من عمري، راودني حلم ظل يتكرر لسنوات طويلة. كنتُ أحلم بتأليف مجموعة من الفدائيين لتحرير مدينة حيفا من الإسرائيليين، حلمت بأنني في المرفأ الواقع على البحر المتوسط كما وصفه لي والدي على شكل ضفدع بشري إلى جانب مجموعة مقاتلة مدججين بالأسلحة، ونحن مترددون في دخول المدينة خوفاً من أن نلحق الضرر بمنازلنا.

في العام 1958 انتقلت عائلة الغبرا إلى بريطانيا ليكمل والده تخصص جراحة القلب، واستقرت فيها عامين ونصف العام، وعن فترته في بريطانيا يقول: في لندن، منذ العام 1958 إلى العام 1960 بدوتُ مدركاً فعلاً لأحاسيسي العربية. فأن يكون الإنسان عربياً في بريطانيا، في زمن الصراع العربي البريطاني، تجربة غير سهلة على الإطلاق. ومجرد أنني من العالم العربي أو من فلسطين التي احتلتها إسرائيل، فهذا يمثل في حدّ ذاته مدعاة لموقف من الآخرين.. من أين أنت؟ أقول لهم «من فلسطين»ـ ثم يسألون: أين هي فلسطين؟ فأقول «أنا عربي، وفلسطين أرضنا قبل أن تتحول إلى إسرائيل بسبب بريطانيا واستعمارها لفلسطين».

ويضيف الغبرا: في إحدى المرات سألني طالب من أين أنت، وكنت قد تجاوزت السادسة من عمري، قلت «أنا عربي من فلسطين»، وإذا به يقول لي «أريد أن أقول لك شيئاً بصوت خافت». فقرّبت أذني منه: فما كان منه إلا أن بصق في أذني كل اللعاب الذي جمعه لي. قفزت من مكاني مصدوماً وذهبت لأغتسل بكل المياه التي أستطيع أن أصبّها في أذني فوراً، من دون أن أستطيع استيعاب ما حصل في تلك اللحظة، ولماذا فعل هذا الولد ما فعل؟

في العام 1960 وفي طريق عودته إلى الكويت كان قد تجاوز الغبرا السابعة من عمره، مرّ بالقاهرة هو وعائلته لجلب شقيقه يوسف الذي لم يره منذ تركته الأسرة هناك. وبالرغم من لغته العربية الركيكة، وعدم إتقان أخيه للغة الإنجليزية استطاعا التواصل.

وعن هذه الفترة يقول الغبرا: تلقيت تشجيعاً في القاهرة للعب مع أخي يوسف أمام المبنى الذي تقطن فيه جدتي وعمتي العزباء هيام. فهناك العشرات من الأولاد الذين يلعبون أمام المبنى، وجميعهم من المصريين، وقد اضطررت في وقت ما إلى التحدث بعربيتي الضعيفة مع أحدهم.

ويتابع: فجأة وجدته يصرّح أمام عشرات الأولاد «إنه إنجليزي.. إنه إنجليزي»، محذراً بقية الأولاد من وجود «مندس». تقدّم مني بعض الأولاد وسألوني: «هل أنت إنجليزي؟». وبدوا كأنهم يتحققون من هويتي قبل أن يقرروا كيف سيتعاملون معي.

صُدم أخي يوسف بما حصل، فصرخ باللهجة المصرية بأنني أخوه وأنني عربي مثله، وأنني عدت الآن من إنكلترا. وفيما كان أخي يلقي خطابه في حشد الأولاد، فقدت شجاعتي، فرميت الدراجة التي كنت أقودها، وركضت عائداً إلى شقة جدتي وعمتي.

في العام 1961 مُنح والده الجنسية الكويتية، ما أشعر الغبرا بالارتباك من هذا التحول باعتباره فلسطينياً لم يبلغ الثامنة بعد، وكان يرى أن عليه مهمة تمثيل وطنه وقضيته ليصبح مواطناً جديداً في البلد الذي ولد وتربى فيه. وهو ما عبّر عنه بسرد حكاية جاء فيها: في أحد الأيام جاء الشيخ صباح السالم إلى منزلنا، وبحضور والدي أبلغني أنني أصبحت مواطناً كويتياً، لكنني أمام الشيخ أصررت على أنني فلسطيني وأحمل قضية ألتزم بها.. استغرقت مناقشتنا بضع دقائق.

تكوين شخصية الغبرا

في كتابه «حياة غير آمنة» يعترف الغبرا قائلاً: حرب 1967 أيقظت فينا عملاقاً مكبوتاً يبحث عن تحرر وإعادة اعتبار لما حصل في نكبة 1948 عند قيام إسرائيل، لهذا بالتحديد جذبتْ جيلي حركة "فتح" التي تأسست بقيادة ياسر عرفات ومجموعة من إخوانه في العام 1965، فهي التي صنعت معركة الكرامة الكبيرة في العام 1968، وهي التي قلبت شعار

القوميين العرب والناصريين من «الوحدة طريق فلسطين» إلى «فلسطين طريق الوحدة»، ما ساهم في بلورة تجربة قطاع مهم لجيل من الفدائيين الأوائل، يُعبّرون عن خلفيات وديانات ومذاهب ووطنيات عربية مختلفة في صفوف حركة "فتح" الفلسطينية.

ويضيف: شهدت حياتي تغيّراً كبيراً في خريف 1968. ففي «ثانوية الدعية» بالكويت، وحين أصبحت في الفصل العاشر (الثاني الثانوي)، التقيت مجموعة من الطلبة الفلسطينيين الناشطين في السياسة، منهم مازن ع. وبديع وعبد الخالق.. دار بيننا نقاش عن الفدائيين في الأردن، وعن معركة الكرامة التي وقعت في شهر آذار/ مارس من ذلك العام، والتي نجح خلالها الفدائيون، بقيادة "فتح" وياسر عرفات (أبو عمّار)، في تحقيق انتصار وصمود كبيرين في مواجهة الجيش الإسرائيلي».

ويتابع الغبرا: بعد ثلاثة أيام جاءتني دعوة للقاء خارج المدرسة مع الأستاذ حسني زعرب، وهو مدرّس أول للغة العربية في مدرسة «الدعية» ويعمل مع حركة "فتح" في الكويت. ذهبنا إلى منزله أنا وبديع ومازن ع وعبد الخالق.. هذا اللقاء السري الذي لم أُعلم والديّ بشأنه أصبح بمثابة الاجتماع السياسي الأول لي.

فجأة لم يعد أصدقاء مراهقته يلهمونه كما كان الأمر في السابق، بل ابتعد عن معظمهم، ووجد نفسه منكباً على القراءة، فضلاً عن تنمية مهاراته في الكتابة. وقد تمثّلت مهمته الأولى بإعداد صحيفة حائط تتحدث عن فلسطين مع مازن ع وبديع وعبد الخالق، في ثانوية «الدعية».

صحيح أن بدايات ارتباطه بالعمل الفدائي كانت عبر التقائه مجموعة من الطلبة الفلسطينيين، ومتأثراً بأستاذ اللغة العربية بالمدرسة نفسها، لكن الغبرا كان يرى أن «فتح ليست حزباً سياسياً، بل هي حركة كانت أكاديمية، بل مدرسة، ولأنها مدرسة كان فيها كل هذه التيارات، كان فيها يسار، ويسار تقليدي، ويسار مجدِّد مثل (السرية الطلابية) كان فيها وسط، كان فيها يمين، كان فيها إسلامي، كان فيها شيوعي، وكان فيها وطني، لا يريد التداخل في أي شيء، لكن التركيز لديه انصبّ على فلسطين».

وقلة ربما من يعرفون أن الغبرا كان قائداً وضابطاً من بين قيادات الكتيبة الطلابية (التنظيم الطلابي لحركة "فتح") إلى جانب الشهيد علي أبو طوق ومعين الطاهر وغيرهما، ومنذ نهاية ستينيات وأوائل سبعينيات القرن

الماضي، وفق ما أفاد سعود المولى في الندوة المشار إليها أعلاه.

بعد الانتهاء من دراسته البكالوريوس من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأميركية في العام 1975، عاد الغبرا إلى لبنان ليقضي ست سنوات من النضال في الجنوب اللبناني، وحول هذه الفترة يقول الغبرا في مقابلة عام 2011 مع تلفزيون «وطن» الكويتي: "ذهبت إلى مكان أمارس من خلاله قيمي ومبادئي وإيماني بالقضية الفلسطينية، ووجدت أن المكان الوحيد الذي أستطيع أن أفعل ذلك من خلاله في ذلك الزمن كان جنوب لبنان»، مضيفاً: كانت تجربة غنية.. تجربة أليمة.

بعد هذه الست سنوات أي مطلع ثمانينيات القرن الماضي وقبل الاجتياح الإسرائيلي الأكبر للبنان كان الغبرا قد أخذ قراراً بأن يغادر تلك التجربة وأن يعود إلى مقاعد الدراسة، وبالفعل توجه مجدداً إلى الولايات المتحدة الأميركية وحصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة بوردو- إنديانا، ثم نال شهادة الدكتوراة في السياسات المقارنة من جامعة تكساس- أوستن (1987)، ليعود في السنة نفسها إلى الكويت لتدريس العلوم السياسية في قسم العلوم السياسية في جامعة الكويت التي كان مُبتعثاً منها لدراسة الدكتوراة.

الغبرا الأكاديمي

استقر الغبرا في الكويت لأربع سنوات تقريباً، أي حتى أواخر العام 1990 (ثلاثة أشهر بعد الغزو العراقي على الكويت)، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة الأميركية ليعمل مدرساً في جامعة وليام وماري الأميركية، وبدأ متطوعاً مع لجنة «مواطنون من أجل كويت حرة» دافع خلالها عن قضية عادلة بنظره وهي غزو الكويت من قبل النظام العراقي برئاسة صدام حسين على حد تعبيره كما أشار في اللقاء التلفزيوني المشار إليه أعلاه، حيث قال: «الأساس الذي يجب أن يحرك المرء هو قناعته بعدالة الأمور، بعدالة المواقف، بعدالة القضية. العدالة أساسية، وإن لم تكن هناك عدالة، ما هو المستقبل؟!». بعدها تقلد الغبرا منصب مدير المكتب الإعلامي الكويتي في واشنطن لأربع سنوات، عاد بعدها إلى الكويت للعمل كمدرس جامعي في جامعة الكويت.

«كأستاذ جامعي ينعكس على طلبتي أنني لا أتحدث في نظريات فقط، إنما أتحدث عن تجربة حياتية عميقة وتنوع في هذه التجارب في بيئات مختلفة،

كل بيئة أعطتني شيئاً خاصاً ومتميزاً.. طبيعة موادي بشكل أساسي تقوم على النقاش والحوار والأخذ والعطاء، باستثناء مادة الصراع العربي الإسرائيلي التي أُعطي فيها محاضرات متكاملة لطبيعة هذه المادة». هذا ما قاله الغبرا في المقابلة آنفة الذكر عند سؤاله عن تأثير تجربته وانعكاسها على طلبته أثناء التدريس.

أما ابنته حنين الغبرا فقد تحدثت في الندوة المشار إليها أعلاه عن والدها الأكاديمي قائلة: كأكاديمي أعتقد أنه أهم ما كان يعنيه البحث والنظرية، كان البحث في رأيه مفتاحاً لكونك أكاديمياً ناجحاً، لكن النظرية هي الطريقة التي يمكننا من خلالها فهم الاضطهاد والأنظمة السياسية من حولنا.. كأكاديمي، حتى حين كان يختلف مع شخص كان يُسوّي هذا الخلاف بكل أدب واحترام، كرّس حياته الأكاديمية للقضية الفلسطينية وللكويت. مضيفة «ما جعله يبرز كأكاديمي هو قدرته على تجديد عمليات تفكيره بالنظريات والمنهجيات الحديثة، حتى لو كانت من مدارس فكرية مختلفة».

جدير بالذكر أن الغبرا تقلد منصب مدير مركز الدراسات الإستراتيجية في جامعة الكويت، وهو الرئيس السابق والمؤسس للجامعة الأمريكية في الكويت (2006-2003)، كما عمل كرئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية في جامعة الكويت وأستاذاً للعلوم السياسية فيها.

الغبرا الأب والابنة

«عندما أتحدث عن والدي، فأنا أتحدث عن أب يحب من دون قيود ومن دون شرط، بل أتحدث عن ميلاد أكاديمي آمن، لدينا علاقة تتجاوز الكلمات، لديّ تاريخ طويل مع الوالد، كفتاة صغيرة كان الوالد صديقي وأبي، حتى لو فعلت شيئاً خلال سنوات مراهقتي فلن يغضب، لكن سيجلس معي وسيشرح لي ويفهمني بالمنطق، بشكل عام كنت أشعر بالأمان، كان لديّ شخص أثق به ويحميني».. هكذا بدأت د. حنين شفيق الغبرا حديثها عن والدها في الندوة المُشار إليها سابقاً.

وأضافت: وفي العام 2012، اتخذت قراراً بالحصول على درجة الدكتوراة من جامعة «دنفر» في النقد البلاغي ودراسات التواصل والثقافة، وجاء والدي وتفرغ عندي في جامعتي، وكالعادة، كنا نجلس يوميّاً ونتحدث حول النظريات، لكن، وفي تلك النقاشات، خضت ولأول مرّة «هوشة» (شجار) مع والدي أمام أحد زملائي في الفصل.. الجدل شكّلنا بشكل كبير، وشكّل

علاقتنا الأكاديمية لأنّني كنت يسارية للغاية وكنت أدرس نزاع الاستعمار، وما بعد الاستعمار، الذي يعني أن نكون ضد الليبرالية البيضاء والليبرالية الجديدة والرأسمالية، ودرس والدي في برنامج علوم سياسية محافظ أكثر، كان مؤيداً للديمقراطية وللغرب، بمعنى أنه كان يتبع برنامجاً سياسيّاً ليبرالياً.. كانت هذه المناقشة ساخنة، فاجأتني وفاجأته وفاجأت الجميع، وأخبرته عن مشكلتي من تحرير المرأة من وجهة نظر الليبرالية، أخبرني هو أنني كنت متطرفة وأنني بحاجة إلى إلقاء اللوم على الأنظمة العربية.

ولفتت حنين إلى أن والدها، الذي ألف تسعة كتب، كان يسعى دائماً لإيداع نسخ من جميع كتبه أو الحلقات الدراسية التي كان يسجلها عن القضية الفلسطينية، وتم إطلاقها قبل أسابيع من موته على موقع «يوتيوب» في برنامج يحمل اسم «سفراء فلسطين»، الذي عمل عليه مع المخرجة والباحثة الفلسطينية روان الضامن.

الغبرا والعمل الطلابي

خاض الغبرا أولى تجاربه في العمل الطلابي السياسي مع حركة "فتح" في عدة عواصم ودول. البداية كانت في المدرسة في الفصل الدراسي العاشر في الكويت في العام 1968 في التنظيم الطلابي لحركة "فتح"، ثم في لبنان إبان دراسته في السنتين الأخيرتين من الثانوية، ثم في الولايات المتحدة منذ العام 1971 حتى العام 1975 أثناء الدراسة الجامعية. ولكن مع تخرجه من جامعة جورج تاون الأميريكية في العام 1975، كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره، وعلى مدى ست سنوات متتالية بعدها، ستتحول تلك التجارب إلى التزام شامل بالكفاح المسلح والقتال انطلاقاً من جنوب لبنان. فالجنوب في ذلك الوقت تحوّل إلى الجبهة الوحيدة الباقية والمفتوحة بين العرب وإسرائيل.

ومن أجل مشروع الأرض والتغيير بمعناه العربي الأوسع ومشروع الرد على هزيمة 1967 انضوى مئات الشبان والشابات من ذوي الميول الوطنية اليسارية، القادمين من التنظيم الطلابي لحركة "فتح" وقطاعات أخرى وتيارات حزبية عربية شبابية، تحت لواء ما سمّي بداية «بالسرية الطلابية» والذي تحول فيما بعد إلى اسم «كتيبة الجرمق» المقاتلة ضمن حركة "فتح"، حسب ما ذكر الغبرا في كتابه السيريّ «حياة غير آمنة».

وحسب الكتاب نفسه، فقد اشتهرت «السرية الطلابية»، ثم «كتيبة الجرمق»

فيما بعد، وهي التابعة لحركة "فتح"، رغم معارضتها المعروفة للحرب الأهلية اللبنانية بحكم تركيزها على فلسطين، بجرأتها في الجزء الأول من الحرب الأهلية اللبنانية 1975-1976، كما تميزت بعدم طائفيتها أثناء الحرب الأهلية، ورفضها للتطهير الديني بين الفرقاء وأحياناً انسجامها مع خط حركة "فتح" العام، وأحياناً أخرى تقديمها لرؤى وأفكار وممارسات إصلاحية لم تكن متوافقة مع الممارسات العامة السائدة في "فتح" أو في الوسط المقاوم. ثم أصبحت «السرية الطلابية/ كتيبة الجرمق» من أكثر الأطراف العسكرية احترافاً وقدرة في مواجهة إسرائيل الساعية إلى التوسع عبر بناء القطاع الأمني في الجنوب اللبناني 1976-1982.

فدائي في بيروت

وأكمل أحمد عزم حكاية عن الغبرا ومشواره النضالي قائلاً: عندما زار بيروت في العام 1975، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية فيها، اكتشف مجدداً، وبعمق أكبر، هذا التنوع الهائل في العمل السياسي، ليس في المدرسة فقط.. الآن هو شاهد المقاتلين، التنوع الهائل بين الطوائف المختلفة والتيارات السياسية والحزبية، والتيارات الحزبية في ذلك الوقت لم تكن تقل تناحراً عن الطائفية، هذه الحركية غير المؤدلجة واحدة من أهم معالم فكر الغبرا، هذه الحركية المرنة، بحيث تقبّل أن يحتفظ الإنسان بفكره المؤدلج وتياره السياسي وتوجهه الديني، ولكنه في ذات الوقت يعمل مع الآخرين.

وأضاف عزم في الندوة المشار إليها أعلاه: هذه الفكرة الحركية التي تحدث عنها الغبرا تقودنا لفكرة أخرى، حقيقة تحدّث عنها وآمن بها الغبرا، وهي فكرة مرتبطة بالسرية الطلابية وبالكتيبة الطلابية وبالتيار، فكرة التناقض الرئيسي والثانوي.. عندما سألت أحد اللبنانيين من أصحاب الفكر القومي اليساري، لماذا ذهبت لـ»فتح" وليس لفصيل فلسطيني ثانٍ يساري أو قومي؟ قال: إن فكرة "فتح" تجمع الكل في إطار واحد.. كل هذا كان الفكر الذي آمن به الغبرا.

وتابع عزم: عندما عاد الغبرا في العام 1975 ليلتحق بالعمل الفدائي مباشرة وبشكل فعلي، ربما كان من أول من قابلهم المناضل المصري المعروف «محجوب عمر»، الذي أخذ بيده إلى منطقة نسور العرقوب في الجنوب، حيث التحق بالقواعد هناك، ومحجوب عمر اسمه الحقيقي معروف نظمي ميخائيل عبد الملك المناضل القبطي وزوجته الراحلة منى العرقان اللبنانية

المارونية التي كان خالها وأهلها من قادة حزب الكتائب.. هذه التوليفة التي يتحدث عنها الغبرا، بمعنى كيف يمكن أن تتجاوز كل هذه التنوعات وتبقى في إطار الوحدة. وهذا تحدث عنه الغبرا في أكثر من مرة. كما سبق وأن تحدث عن تأثره بمحجوب، وعن تأثيره بحنا ميخائيل (أبو عمر) خريج هارفارد.. كان يريد أن يكون قريباً من الناس وقريباً حتى من الفكر الإسلامي ليس كتبٍ، لكنه كان يريد أن يفهم طبيعة هذه القوى الكبيرة.

ومن بين الملامح الفكرية للغبرا، التي تحدث عنها عزم في الندوة ذاتها، ما يعرف بـ»خط الناس»، بحيث كان دائم الحديث عن علاقة الشعب مع الناس.. ونقل عزم على لسان الغبرا قوله «التيار الطلابي أو السرية الطلابية أو التنظيم الطلابي كانت فيه قطاعات شبابية طلابية متعلمة قارئة مفكرة، فيه لبنانيّون وعراقيّون وسوريّون"، ويقول إن ما جمع هؤلاء فكرة عدم الدخول في التناقض السياسي والبحث عن المشترك. ما يؤكد أن الغبرا «كان من خط الناس».

شفيق الغبرا وتوثيق التجربة

ووفق ما ذكر الكاتب والإعلامي صخر أبو فخر في «شفيق الغبرا يروي الكتيبة الطلابية: جيل الأحلام والغضب»، فإنه "لم يؤرخ أحد، حتى الآن، تجربة الكتيبة الطلابية، وما كتب عنها عبارة عن شذرات متناثرة هنا وهناك، أو فقرات ترددت في سياق الحديث عن هذا الشهيد أو ذاك. غير أن الدكتور شفيق الغبرا، وهو فلسطيني ذو جذور سورية (ويحمل الجنسية الكويتية في الوقت نفسه) تصدى للكتابة عن هذه التجربة البهية، فأصدر لهذه الغاية كتاباً وافياً بعنوان (حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات)، والصادر في بيروت عن دار الساقي (2011)».

يروي شفيق الغبرا، حسب أبو فخر، في سيرته هذه كيف التحق بحركة "فتح"، وهو القادم من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأميركية، وكيف خضع لدورة عسكرية في بلدة مصياف بسورية، وكيف ترك أميركا بصورة نهائية وجاء إلى لبنان ليلتحق مباشرة بالعمل العسكري وليس بالعمل الإعلامي أو الدبلوماسي أو السياسي. فقد تزامن وصوله إلى بيروت مع اغتيال معروف سعد في صيدا في العام 1975، ثم اندلعت الحرب الأهلية، فوجد الكاتب نفسه في معمعان المعارك فانخرط فيها. ثم يسرد قصة «السرية الطلابية» التي أُسست بُعيد أحداث أيار/ مايو 1973،

وتحول اسمها إلى «الكتيبة الطلابية» ثم إلى «كتيبة الجرمق»، التي قاتل عناصرها في معركة الطبية في بيروت (كلية الطب التابعة للجامعة اليسوعية والواقعة في إحدى نقاط طريق الشام)، ودافعوا عن حي البرجاوي، وقاتلوا بشهامة في مرتفعات صنين وتلال العرقوب، وشاركوا في التصدي للإسرائيليين وجماعة سعد حداد في جبال البطم وتلة مسعود وتلة شلعبون، وغيرها من المواقع الملتهبة.

يعيد شفيق الغبرا، والحديث لا يزال لصخر أبو فخر، إحياء كثير من أسماء الشهداء والمناضلين الذين خاضوا تجربة «الكتيبة الطلابية»، فيروي حكايات دافئة عن الشهداء حنا ميخائيل (أبو عمر)، ومحمد بحيص (أبو حسن)، وعبد القادر جرادات (سعد)، وعلي أبو طوق، ومروان كيالي، وجورج عسل، وسمير الشيخ، وعصمت مراد، وباسم سلطان التميمي (حمدي)، ونعيم (عبد الحميد الوشاحي)، وأمين العنداري (أبو وجيه)، ونقولا عبود، وجواد أبو الشعر، ومحمد شبارو، وجودت المصري (أبو الوفا)، ودلال المغربي، وغيرهم. ويعيد تذكيرنا بمناضلين كثيرين تناثروا بعد الخروج من لبنان في العام 1982، أمثال: أنيس نقاش، وعادل عبد المهدي (الذي صار نائباً لرئيس الحكومة العراقية)، وإدي زنانيري، ومعين الطاهر، ويزيد صايغ، والسيد هاني فحص، وحسن صالح، وسعود المولى، ونظير الأوبري (الحلبي الجذور)، ومحمود العالول، وسامي عبود، ونعمان العويني، وهلال رسلان (من جبل العرب في سوريا)، ومحجوب عمر (من مصر)، وربحي، وأدهم، وهالة صايغ، وسامية عيسى، ومحمد صالح الحسيني (من إيران)، والعشرات من الأسماء الحركية أو المختصرة التي كانت جميعها تتكوكب في إطار «السرية الطلابية».

صدر حديثا... كتاب

هندسة الاحتلال، أرشيف حكومة إسرائيل عام 1967

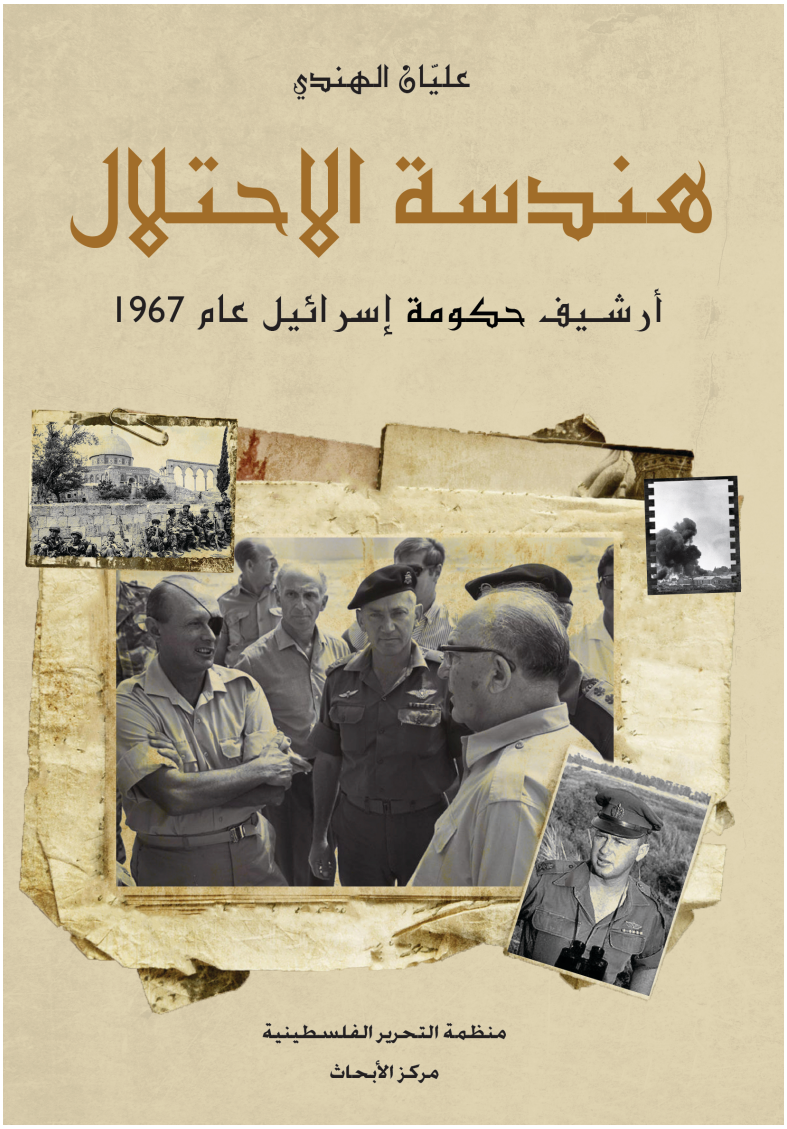

صدر حديثا...

المجلد التاسع والعشرون من اليوميات الفلسطينية 1/1/2021 - 31/12/2021